الخلاف النحوي في تفسير ابن عرفة الورغمي [1]

Obayda ALSHIBLY[2]

APA: Alshibly, O. (2023). الخلاف النحوي في تفسير ابن عرفة الورغمي *RumeliDE Dil ve Edebiyat Araştırmaları Dergisi*, (34), 1015-1029. DOI: 10.29000/rumelide.1316240.

الملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة نماذج من الخلاف النحوي التي أوردها ابن عرفة في تفسيره؛ إذ يعد موضوع الخلاف النحوي من أهم الموضوعات التي دارت في حياة وكتب النحويين والمفسرين منذ نشأة علم النحو بتعدد مذاهبه وتياراته ومناهجه وطرق الحكم فيه إلى يومنا الحاضر؛ إذ لا نكاد نجد مجلساً من مجالس تفسير القرآن الكريم وعلوم العربية اللغوية إلا وجدنا فيه ذكراً لموضوع الخلاف بين المفسرين من الناحيتين المعنوية والإعرابية. وابن عرفة من العلماء الذين أولوا الخلاف النحوي أهمية كبيرة في تفسيرهم للقرآن الكريم والعمل به، فمن يقرأ في تفسيره يجد الكثير من النماذج الخلافية النحوية المنتشرة في تفسيره، والتي كان يناقش العلماء فيها ويحسن التعليل والاستدلال والجواب والرد على كل مسألة من المسائل الخلافية التي يوردها أو يذكرها إلى طلابه ومحبي العلم من المجالسين له؛ إذ كانت مجالسه عامرة بالعلم والسؤال والنقاش والبحث عن أفضل المعاني لتأويل النص القرآني المبارك، وما يشمل ذلك من تقسيمات وتفريعات وتعليلات وطرح للآراء والنقاش في نواحي الخلاف وفي محيطه.

الكلمات المفتاحية: النحو- الخلاف- ابن عرفة- التفسير

58. İbn'ArafaEl-Vergammî'nin tefsirinde gramer anlaşmazlığı

Öz

Bu araştırma, İbn 'Arafa el-Varğamî'nin tefsirindeki gramer ihtilafı örneklerini incelemeyi amaçlamaktadır. Dilbilgisi münakaşasının konusu, içerdiği doktrinler, akımlar, yaklaşımlar ve muhakeme yöntemlerinin çokluğu ile nahiv ilminin başlangıcından bu yana nahivcilerin ve müfessirlerin hayatında ve kitaplarında yer etmiş en önemli konulardan biridir. Günümüze kadar Kur'an-ı Kerim'in tefsiri ve Arap dil ilimleri hakkında bir meclis tesis etmekte zorluk çektiğimiz gibi, müfessirler arasında ahlâk ve nahiv bakımından ihtilaf konusunun zikredildiğini bulmamız bir istisna olarak görülebilir**.** İbn 'Arafa da Kur'an-ı Kerim'i tefsirlerinde ve ona göre amel etmede gramer tartışmasına büyük önem veren âlimlerden biridir. Onun tefsirini okuyanlar, tefsirinde intişar eden ve âlimlerin kullandıkları birçok tartışmalı gramer modeli bulmuştur. Zikrettiği ihtilaflı konuların her biri, muhakeme çeşitlerini tartışmakta ve geliştirmektedir.Öğrencilerine ve yakınları arasında ilim severlere yardımları dokunmuştur. Onun meclisleri ilim, araştırma, münazara ve Kur'an-ı Kerim'in metnini tefsir etmek için bir merkezdi. En iyi manaları aramakta ve tasnifler, tahkikatlar yapmaktaydı. Görüşlerinin serdedilmesi, ihtilaflı sahalarda ve muhitindemünakaşalara yol açmıştı.

Anahtar kelimeler: Sözdizimi, ihtilaf, İbn Arafa, tefsir

1 Bu makale, Sivas Cumhuriyet Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsünde devam eden "İBN ARAFE'NİN TEFSİRİNDE NAHVÎ GÖRÜŞLERİ" başlıklı doktora tezinden faydalanılarak, Prof. Dr. Mehmet Ali ŞİMŞEK denetimi altında hazırlanmıştır.

2 Doktora, Sivas Cumhuriyet Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Temel İslam Bilimleri ABD (Sivas, Türkiye), obaidashibly12113@gmail.com, ORCID ID: 0000-0002-8119-6660. [Araştırma makalesi, Makale kayıt tarihi: 15.04.2023-kabul tarihi: 20.06.2023; DOI: 10.29000/rumelide.1316240]

The grammatical dispute in the interpretation of Ibn Arafa Al-Wargami

Abstract

This search seeks to study the examples of grammatical disagreement in the interpretation of Ibn Arafa AlWarghami. As the subject of the grammatical dispute is one of the most important topics that have taken place in the life and books of the science of grammar with its multiplicity of doctrines and, currents approaches and methods of judgment in it to the present day. Where we hardly can find a council of the interpretation of the Holy Quran and Arabic linguistics sciences without a mention or a discussion of the subject of disagreement between the interpreters in terms of moral and syntax. Ibn Arafa was one of the scholars who attached a great concern to the grammatical dispute in theirinterpretation of the Holy Quran and it implementation. Whenever you read his interpretation you will find many controversial grammatical models spread in it, in which he used to discuss scholars and improve reasoning, answering and responding to each of the controversial issues that he brings or mention to his students and to the science lovers , his councils were filled with knowledge, questions, discussions and searches for the best meanings to interpret the blessed Quranic text, including divisions, subdivisions, justifications and presentation of opinions and discussions in areas of disagreement in its surroundings.

Keywords: Syntax , disagreement , Ibn Arafa , interpretation

المدخل

لا يخفى على أحد منَّا أنَّ قيمة القرآن الكريم جليلة في اللغة العربية وعلومها وفنونها، وقد نالت هذه العناية في عصر ابن عرفة الورغمي حضوراً وتدويناً وتجديداً ودرساً؛ إذ كانت مرحلة حياتهم ونتاجهم تمثل تأصيلاً وعملاً بالنص القرآني الجليل من تفسير للسياق القرآني على جميع النواحي ولاسيما العناية به من الناحية الإعرابية كما في تفسير ابن عرفة، الذي وجدناه قد امتلأ بالآراء النحوية التي أثمرت فينا حباً، وزادت في نفوسنا تعلقاً بالدرس وإعراب القرآن الكريم.

لقد كان التَّفسير عِلماً من علوم اللُّغة الجليلة التي راح النُّحاة يدرسونه دراسة معمَّقة، وراحوا يستنبطون منه الوجوه والتَّأويلات النحويَّة والإعرابيَّة المتعددة، فليس ثمَّة علم قد تفرَّع في الآراء ووجوه اللُّغات والقراءات المختلفة كعلم النَّحو العربي، وليس ثمَّة علم ألصق بالتَّفسير والمعاني اللُّغويَّة كعلم النَّحو، فالنَّحو ملح العربيَّة، وصلبها وعمودها الرئيسي.

لا ريب أن عناية العلماء بالنحو كانت هي طريقهم وطريقتهم لفهم السياق القرآني والوصول إلى معانيه عن طريق مبانيه، فما زالت لغة النص القرآني تفوح بالمعاني وتفيض بالمباني التي أعجزت العقول وسلبت قلوب المحبين للفصاحة والبلاغة، فالقرآن كتاب الله الذي أنار الأرض بنزوله، كتاب لا نجد له من الكلمات ما يصفه حق الوصف، ولا نصل إلى نهاية الوصف مهما قلنا وتحدثنا وتكلمنا على قيمته ونفعه ولغته المعجزة. ومن هنا جاءت هذه الرسالة لدراسة النص القرآني من خلال تفسير ابن عرفة من الناحية النحوية لاستشفاف المعاني والدلالات من خلاله.

يعد ابن عرفة أحد أعلام الفقه والتفسير واللغة العربية في بلاد المغرب العربي؛ إذ كان سبباً في نشاط الحركة العلمية والحركة التفسيرية في عصره؛ واعتمد ابن عرفة على تفسير ابن عطية، وانتهج طريقة التحليل والإملاء على تلاميذه؛ ليأتي بكل جديد، يقدمه إلى طلابه بالأسلوب العلمي اللغوي الرصين، وكان في منهجه الإملائي يورد الكثير من الأقوال للعلماء في المجالات المتنوعة بين اللغة

والنحو والبيان والوجوه الإعرابيَّة علاوةً على عنايته التامة بالنواحي الفقهية وعلم الكلام. وتتمثل أهمية البحث في قدرته على نقل المعارف اللُّغوية والنحويَّة التي جاء بها ابن عرفة في تفسيره للقرآن الكريم، هذا التفسير العظيم المليء بالمعارف والإشارات اللغويَّة، والتي لم تلقَ نصيبها من الدراسة عامةً، كما لم تقدَّم إلى طلاب العلم للأخذ من فوائدها بشكل خاص.

وقد سبقت البحث عدد من الدراسات البحثية التي تناولت ابن عرفة من حيث الشخصية العلمية أو من حيث النتاج العلمي، ولعل البحث يذكر هذه الدارسات، منها:

– بحث بعنوان (ابن عرفة الورغمي التونسي دراسة في سيرته وعلومه الشرعية) وقد ركزت فيه الباحثة على جانب الحياة العلمية لابن عرفة ونتاجه العلمي من المؤلفات والآراء وغيرها، وقد كان الاهتمام فيه على الناحية الشرعية وليس اللغوية.

– بحث بعنوان (علم القراءات القرآنيّة عند الإمام ابن عرفة التونسي) تناول فيه الباحث القراءات القرآنية بالتعريف والدرس والتطبيق من خلال تفسير ابن عرفة، وكان المنهج فيه أن يذكر الاختلاف بين القراءات وعودة كل قراءة إلى أصلها عند القراء دون أن يقف عليها من الناحية الإعرابية والدلالة النحوية.

– رسالة ماجستير بعنوان (الآراء الكلامية لابن عرفة التونسي من خلال تفسيره جمعاً ودراسةً) تناول فيها الباحث الأفكار والمواضيع الفكرية من الناحية الدينية وليس اللغوية كالرسالة السابقة الذكر.

– رسالة ماجستير بعنوان (ترجيحات الإمام ابن عرفة في تفسيره سورة المائدة أنموذجاً) تم تركيز الباحث في هذه الرسالة على الترجيح والتطبيق والاجتهاد عند ابن عرفة في جزئية من تفسيره؛ إذ وقف على سورة المائدة فقط، ولم يتطرق إلى التفسير بالشمول، وكان الاهتمام والأولوية لديه على الجانب العقدي أيضاً.

– بحث بعنوان (من أسرار التعبيرات القرآنيّة النحويّة في تفسير ابن عرفة) تناول فيها الباحث عدداً من المواضع القرآنية في تفسير ابن عرفة من الناحية الإعرابية، وقد أفادت البحث منه في بعض مواضعه. وكما ذكرت فإن هذه الرسائل والأبحاث لا تلتقي مع موضوع بحثي إلا في جزئيات قليلة جداً، وهذا ما يعطي البحث القيمة والنفع والفائدة، ويدفعه للإتيان بالجديد والمفيد.

وقد قسم البحث إلى مبحثين، فأمّا المبحث الأول فقد خُصِّص لدراسة الخلاف النحوي بشكل مبسط ومختصر عند نحاة العربية بين النشأة وأسبابها ودوافع البداية لهذا المصطلح النحوي إلى العصر الحديث. وأمّا المبحث الثاني فقد خُصص لذكر وإبراز عدداً من النماذج الإعرابية عند ابن عرفة في تفسيره، وكيف كان يخالف بها بأسلوبه وتقديره غيره من المفسرين عند إعرابهم لتلك الآيات، والملاحظ أن ابن عرفة كان في تلك الأعاريب يبدأ بمنهج الجمع للآراء، ثم تأتي مرحلة الخلاف النحوي بذكره لبعض نماذجها ووجوهها؛ أي: يتناول الآية بموضعها النحوي، ويذكر ما جاء في التفاسير الأخرى التي تناولت الآية التي من خلال الإعراب والمعنى، ثم يذكر رأيه الذي يخالف فيه أحد الأوجه الإعرابية وهذا ما سيفصل البحث فيه. ثم انتهى البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المبحث الأول: الخلاف النحوي عند النحاة

يعود الاختلاف بين النُّحاة تاريخياً إلى الارتباط بالموقع والبيئة، "فنحن نعلم أنَّ البصرة كانت من أقدم المدن الَّتي وضعت النَّحو قبل الكوفة، وكان لها الأسبقيَّة في ذلك، فقد بدأ النَّحو فيها بسبب انتشار اللَّحن على الألسنة كما في قصة أبي الأسود

الدؤلي ولحن ابنته، وذهابه بالخبر إلى الإمام علي.[3] وكما يذكر ابن سلَّام: "فإنَّ لأهل البصرة قُدمَة في ميدان النَّحو، والغريب، وفي لغات العرب، وعنايتهم بها جميعاً".[4] ويعود السَّبب الرَّئيس في أنَّ النَّحو نشأ في بلاد العراق أوَّلاً قبل غيره؛ للاختلاط بالأعاجم، كما أنَّ أوَّل اللَّحن كان هناك كما يذكر ابن السِّكِّيت: "فقد سُمِع اللَّحن الأول هناك في قول أحدهم: هذهِ عصاتي على زعم الفراء".[5] ولا ننسَ أيضاً أنَّ من أهمِّ أسباب أسبقيَّة النَّحو في العراق الاهتمام بالقرآن الكريم والقراءات فيه؛ إذ نجد أكثر عُلماء اللُّغة من عُلماء القرآن وعلومه.

ويشير عزُّ الدِّين عماري في مقالته: (في نقد النَّحو العربي بحثٌ في النَّشأة والتَّطور) إلى أنَّ مرحلة النِّزاعات والخلافات بين النَّحويين "لم تكن قائمةً إلى زمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، فالنَّحو لم يعرف الجدل والخلاف بعد، ولم تتبلور أُسُسه، ولم توضع القواعد الخلافيَّة فيه بعد، وحتَّى الصِّراع بين النَّحويين البصريين والكوفيين لم يعرف بعد. وبدأ التَّأليف والتَّصنيف بعد ذلك في هذا المجال كما فعل الأنباري في كتابه المشهور في بابه: (*الإنصاف في مسائل الخلاف*) ثمَّ توالت المصنَّفات والتَّأليفات في كتب الخلاف النَّحوي بعد ذلك.[6]

وقد أبرز العلماء حقيقة الخلافات النَّحويَّة القديمة إلى نسب النَّحويين إلى بلدانهم؛ إذ ترى خديجة الحُديثي "أنَّ الباحثين الأوائل كانوا ينسبون النَّحو أو النَّحوي إلى البلد الَّذي عُرِفَ وأُشْتُهِرَ به، فيقولون: من أهل البصرة، أو من أهل الكوفة، أو نحو البصرة، أو نحو الكوفة. إلى أمثال هذه التَّسميات، وأنَّ أوَّل من قسَّم النُّحاة تقسيماً مُنظَّماً، وصنَّفهم بحسب بلدانهم الَّتي تعلَّموا فيها النَّحو، وبحثوا فيه، وعلَّموه، وأُشْتُهِرُوا به، بنحو ذلك البلد، أو تلك المدينة، العالم أبو بكر الزبيدي، حيث قسَّمهم بحسب المدن أو البلدان إلى البصريين، والكوفيين، والمصريين، والقرويين، والأندلسيين. وكان الزبيدي أوَّل من استعمل كلمة (مَذْهَب) للدَّلالة على الاتِّجاه النَّحوي، الَّذي عُرِفَ به هذا البلد، والآراء النَّحويَّة الَّتي عُرِفَ بها".[7]

ولعل من الأسباب والعوامل الَّتي أدَّت إلى انتشار الخلاف النَّحوي بين العلماء التَّشجيع الَّذي كانوا يجدونه في مجالس الخلفاء؛ إذ "سعى الخلفاء على مرِّ العُصور إلى افتتاح مجالس الخلاف والاجتهاد النَّحوي بين النَّحويين، كما وجد فيها الخلفاء فرصةً لمعرفة النَّحويين، والتَّقرُّب إلى بعضهم بُغْيةَ تربية وتأديب أولاد الخلفاء عندهم. كما كان في قصَّة صاحب الكسائي المعروف بالأحمر، أحد النَّحويين المشهورين، وقد طلب الكسائي منه أن يُؤدِّبُ أولاد الرَّشيد من بعده، فقد أصبح الكسائي شيخاً كبيراً.[8] وقد قام بتأديبهم من بعده.

وليس الاختلاف في النَّحو إلا باباً من أبواب الإبداع والتَّأليف لدى النُّحاة؛ إذ برع مكي بن أبي طالب القيسي في هذا الباب، وجمع في كتابه المشهور (*مُشكل إعرابِ القُرآن*) الاختلافات الإعرابيَّة بين النُّحاة في أعاريبهم لكتاب الله العزيز، فهو يذكر السَّبب الرَّئيس لتأليف كتابه؛ "إذ رأى أنَّ التأليف في الأبواب النَّحوية بين الرفع والخفض والجر وظواهر المسائل النَّحويَّة هو مما لا

---

3 انظر. سعيد الأفغاني، *من تاريخ النحو العربي* (بيروت: دار الفكر، د.ت)، 27.

4 محمد بن سلام الجُمَحي، *طبقات فحول الشعراء*، تح. محمود شاكر (جدة: دار المدني، د.ت)، 12/1.

5 يعقوب بن إسحاق ابن السكيت، *إصلاح المنطق*، تح. محمد مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2002)، 213.

6 انظر. عز الدين عماري، *في نقد النحو العربي بحث في النشأة والتطور*، *مجلة المقري للدراسات اللغوية والتطبيقية* (المسيلة: جامعة محمد بو ضياف)، 146/3.

7 خديجة الحديثي، *المدارس النحوية*، ط3 (الأردن: دار الأمل، 2001)، 22.

8 انظر. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، *"بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"*، تح. محمد أبو الفضل. ط2 (دمشق: دار الفكر، 1979)، 158/2-159.

يُحتاج إليه؛ لأنَّه يغفل الأهم من الأبواب والمسائل والمشكلات الخلافية التي يُحتاج إليها، فجاء تأليفه لكتابه الذي يتناول ما أشكل من الوجوه والاختلافات، وكان القصد منه أن تظهر هذه المسائل أو ما سماه بمشكل الإعراب لتكون نفعاً لطلبة ومحبي علم النَّحو أو الباحثين في ميدانه الرحب؛ ولذلك كان هذا الكتاب من الموائد النَّحوية العالية المرتبة، والتي لا يستطيع الولوج إلى دقائقها إلا من قطع الشوط الرئيس في النحو في جميع أبوابه.[9]

ثمَّ نجد بعد ذلك دعوات علماء النَّحو الَّتي تدعو إلى مخالفة النُّحاة وفق التَّصورات الجديدة والاجتهادات العديدة لديهم؛ إذ تطالعنا المحاولات النَّحويَّة التَّجديديَّة، والَّتي تترجمها محاولات الخلاف النَّحوي من مبدأ الرَّد على النَّحو. كما دعا ابن مضاء القرطبي في كتابه (*الرَّد على النُّحاة*) وقد كان الهدف من تأليفه كما يرى شوقي ضيف " الخلاص من كثرة المسائل والتفاصيل والفروع ودقائقها، وكان يدعو إلى رفض نظرية العامل النحوي، ويرى أن كثرة هذه التقديرات والتأويلات تقود إلى مخالفة التمسك بالنص القرآني على أصل لفظه ونزوله.[10]

ثمَّ لا يلبث شوقي ضيف في كتابه (*تجديد النَّحو*) إلى أن يكون سبباً من أسباب الخلاف النَّحوي؛ إذ وجد في نشره وتحقيقه لكتاب *الرَّد على النَّحاة* باعثاً ومؤثراً لسعيه للتَّأليف في هذا المجال الخلافي أيضاً. "يذكر في كتابه جميع أبواب النَّحو من المرفوعات، والمنصوبات، والمجرورات، ويدعو في كلِّ بابٍ وقسمٍ منها إلى التَّجديد، وترك الأخذ بالقديم على ما كان عليه، وبهذا يمتلئ كتابه هذا بالدعوة إلى إعادة تنسيق أبواب النَّحو وفق نظرته الخاصَّة، ولعلَّنا نذكر قولاً ومناقشةً من مناقشاته لإحدى هذه الأبواب، يذهب: في باب إلغاء الإعرابين المحلي والتقديري إلى أنَّه ليس من الضروري أن يقال تعليل رفع الفاعل بالتعذر أو الثقل المقدر.[11] وهذه الدعوات برأيي تقلل من جمالية التفصيل في النَّحو من خلال انطلاقها من مبدأ الاختصار والاختزال، وليس كل موضع أو مسألة من مسائل النحو تصلح لذلك.

وتتوالى الدَّعوات التَّجديدية؛ إذ نطالع إبراهيم مصطفى في كتابه (*إحياء النَّحو*) يدعو إلى المنهج الخلافي مع النُّحاة القدماء في كثيرٍ من أقسام كتابه، فنراه يناقش باب قضيَّة الإعراب؛ إذ يرى "أنَّهم اضطروا من أجل تأييد مذهبهم وحججهم وخلافهم النَّحوي إلى الإفراط والإكثار من التقديرات، فهي من المشكلات والعوائق التي لا بدلنا من التخلص منها حسب رأيه، وهي في أساسها تقوم على نظرية العامل التي أصبح من الواجب أن تكون قواعدنا بعيداً عنها.[12]

ثمَّ تأتي بعد ذلك محاولة تمَّام حسَّان التَّجديديَّة في النَّحو العربيَّ، "والَّتي تؤكِّد أن الخلافات النَّحويَّة باب واسع من أبواب النَّحو، وأنَّ جهود العلماء فيها ليست إلا بذرة لشجرة تمتدُّ جذورها يوماً بعد يوم؛ لتصل إلى أفهامنا، فتُغذِّيها بثقافة الاختلاف النَّحويَّة؛ إذ يعد الاختلاف من أهم مظاهر القيم الثقافية عالية الذوق والنقد للغة وعلومها، وذلك من خلال آليات يطلق عليها

9 انظر. مكي بن أبي طالب القيسي، *مشكل إعراب القرآن*، تح. حاتم صالح الضامن، ط2 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984) 28.

10 انظر. ابن مضاء القرطبي، *الرد على النحاة*، تح. شوقي ضيف (مصر: دار الفكر العربي، 1974م) 8-9.

11 انظر. شوقي ضيف، *تجديد النحو*، ط6 (مصر: دار المعارف، د. ت) 23-24.

12 انظر. إبراهيم مصطفى، *إحياء النحو* (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1937)، 35.

مصطلح القرائن، والتي يقسمها إلى قسمين: منها ما هو لفظي، ومنها ما هو معنوي، ويدعو عند المخالفة في عدد كبير من مسائلنا النحوية إلى أن نطبقها عبر القرائن بدلاً من نظرية العامل النحوي.[13]

وقد خضع النَّحو العربي– كما نعلم– منذ نشأته إلى المناهج الخلافيَّة، هذه المناهج كما يرى النُّحاة المحدثون هي السَّبب الرَّئيس لعدم خلوّه من الآفات، الَّتي عملت عملها فيه، وأثقلت كاهله. وإن كنتُ أناقش هذه المسألة، وهي رؤية بعضهم أنَّ الخلافات والآراء المتعارضة في النَّحو هي من الآفات والعلل، الَّتي أخذت قسماً كبيراً من جهود النّحاة السَّابقين فيه، إلا أنَّني أرى أنَّه لولا هذه الجهود المباركة المبذولة لما تسنَّى لنا معرفة الكثير من الاجتهادات والتَّأويلات والأوجه الاختلافيَّة بين التَّيارات والمذاهب والمدارس– قديمها وحديثها– فالاختلاف في الرَّأي يكون رحمةً، وليس نقمةً كما يرون، إذ العلم المقولب هو العلم الثَّابت الجامد الَّذي لا يتطوَّر، بينما نجد من خلال هذه الاختلافات المجالات العديدة والمتنوِّعة والمفيدة، الَّتي تدفعنا لتطويرها والتَّحقيق فيها على مرِّ الأيَّام وتعاقُبها، وهنا بَيتُ القَصِيد.

المبحث الثاني: نماذج إعرابية خالف فيها ابن عرفة غيره من المفسرين

بعد أن تدرَّجنا في مسألة الخلاف النَّحوي بين النُّحاة قديمهم وحديثهم، حَرِيٌّ بنا أن ننتقل إلى تطبيق وذكر هذا الباب الخلافي في تفسير ابن عرفة من خلال منهجه تطبيقاً ودِلالةً، فمن يقرأ في تفسير ابن عرفة يدرك تمام الإدراك اجتهاده فيه لخدمة اللُّغة العربيَّة من خلال طرح الآراء النَّحويَّة عبر الخلاف النَّحوي؛ فلا تكاد تمرُّ بعددٍ من الصَّفحات إلا وقد وجدت ابن عرفة يورد أمثلة على هذه المسألة اللُّغويَّة العميقة. وقد أكثر العلماء من ذكر فضل الشَّيخ في مجال النَّحو؛ إذ أفاض "محمَّد الفاضل ابن عاشور في الكلام والحديث عن تفسير ابن عرفة وعن أصالته، ونفعه في المجالات العديدة من اللغة والنحو والبلاغة والفقه الأصول وعلم الكلام، فاتصف بالشمولية والجدة والابتكار في بابه.[14]

ولابدَّ من التنويه إلى أن الخلاف النحوي في تفسير ابن عرفة ليس له مصادر تناولت القضايا النحوية في تفسيره كما نعلم، وقد ذكر البحث تلك الفكرة في الدراسات السابقة؛ ولذلك سيقوم البحث هنا بذكر منهج ابن عرفة الإعرابي للآية التي يقف عند تفسيرها، ويبن في تفسيره الآراء الأخرى عند إعرابها ويقف في خلافه على محاولة التطوير والتجديد على السابق، أو الوقوف إلى جانب أحد الآراء وتفنيد الأخرى بمخالفتها، والذكر لأكثر المعاني دلالةً وتفسيراً وتأويلاً، أو ذكر الشعر والفصيح من لغات العرب، وسلاحه في خلافه النحوي المنطق السليم والعبارة القويمة واجتناب الخطأ، والبناء الصحيح على السابق، وتفنيد ما خالف منطقه الإعرابي من الآراء والأعاريب والتأويلات.

لقد حملت آراء ابن عرفة في مسائل الخلاف الطَّابع القديم بروح الجديد، فلا يخفى علينا أنَّ منهجه في المسائل الخلافيَّة في حقيقته امتداد للمناهج السَّابقة إلا أنَّ رائحة التَّجديد في طرح المسائل تفوح من جميع الآراء الَّتي خالف بها غيره من المفسِّرين اللُّغويين؛ فلو وقفنا عند قوله تعالى: {فإن لم تفعلُوا ولن تفعلُوا}[15]وجدناه يناقش المسائل الخلافيَّة بينه وبين القرطبي حول هذه الآية بين الدلالة للماضي والاستقبال بأسلوب المنطق والحجَّة النَّحويَّة؛ "فقد ذهب القرطبي إلى أنَّ المراد فإن لم تفعلوا ذلك في الماضي؛

13 انظر. تمام حسان، *اللغة العربية معناها ومبناها* (المغرب: دار الثقافة، 1994)، 200.

14 انظر.محمد بن رزق بن طرهوني، *التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا* (السعودية: درا ابن الجوزي، 1426)، 670/2.

15 البقرة 24/2.

فسيستحيل ذلك عليكم في المستقبل، وهو بهذا التقدير يرى أن جواب الشرط محذوف دل عليه السياق.[16] بينما نرى ابن عرفة يذكر الرأي النحوي للقرطبي، ولا يأخذ به بل يطور من دلالاته الإعرابية، "والجواب عنده أن (لم) خلصت الفعل، و(لن) دخلت على الجملة فخلصتها". [17] فالتجديد الذي نذكره هنا هو التجديد الأسلوبي وليس ما جاء به ابن عرفة هو تجديد بعينه، بل المحاولة والتصيد طريقه ومنهجه، وهذا ما يذكره كل من درس تفسير؛ إذ كان همُّه في ذلك كلِّه "أن يستخرج ويتصيَّد الأسرار النَّحويَّة الواردة في آي الكتاب العزيز، يسبر أغوارها، بحيث تكون مباحثه على نسق ونظام ما سطَّر وكتب أسلافه، وإن رأيناه قد خرج عن ذلك في مواضع عديدة؛ إلا أنَّه رغم ذلك كان يتناول ويلتفت فيها إلى ما لم يلتفت إليه الأوائل، ولهذا جاءت مباحثه مظنَّةً للجِدَّة والابتكار والأصالة؛ إذ وجدنا تفسيره قد ضم وأحصى بين دفتيه ألواناً من العلوم العربيَّة اللغويَّة النافعة الجامعة المغنية، كما أودع فيه مباحث اشتملت على الفوائد الجليلة، والمادة الغزيرة، والشذرات والعقود واللآلئ من الآراء النَّحويَّة.[18]

ولا يقف الخلاف النَّحوي في تفسير ابن عرفة في جانب ومستوى واحد، بل نجده قد يخالف عالماً بالوقف في الرَّأي إلى جانب عالم آخر، كما فعل ذلك في تفسيره لقوله تعالى: {سيقولُ السُّفهاءُ من النَّاسِ}[19] قال الزَّمخشري: "وفائدة الإخبار به قبل وقوعه؛ لأنَّ مفاجأة المكروه أشدُّ والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع".[20] وقال ابن عطيَّة: "عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره أنه من "جعل المستقبل موضع الماضي لدلالته على دوام ذلك واستمرارهم عليه".[21] ويريد ابن عباس مداومة الأخبار في قولهم وسؤالهم للنبي: ما ولاك عن قبلتنا؟ وذكر ابن عرفة قول ابن عطيَّة في تفسيره: والذي رأى فيه إنَّما قال (مِنَ النَّاسِ)؛ "لأنَّ السَّفيه يكون من الجمادات والحيوانات، يقال: ثوب سفيه؛ أي: خفيف النَّسج".[22] وردَّه ابن عرفة "بأنَّ القول المسند إليه في الآية يخصصه بالحيوان"[23] فهو يخالف من أطلق معنى السَّفيه في هذا الآيات على الجمادات كابن عطية، وصرَّح القول فيها بأنَّ المراد بالسَّفاهة الحيوان في هذا المعنى فقط، وهو ما يناسب الآية هنا وفق تصوره المعنوي اللُّغوي؛ أي: لا يتناسب مع الإنسان. فلعلَّه يقف إلى جانب ما ذكره الزمخشري بدلالة المعنى على الإنسان والحيوان فقط دون الجمادات.

والغالب أنَّ جماليَّة الخلافات النَّحويَّة عند ابن عرفة تنطلق في مضمونها عبر بوابة المعنى العميق؛ إذ نراه يقف على العلاقة النَّحويَّة الخلافيَّة في النصب وتعليل الأسباب عند النصب، ففي قوله تعالى: {قالَ اللهُ هذا يومُ ينفعُ الصادقينَ صدقُهم}[24] يقف في مخالفة لعددٍ من الحالات التي نصبوا فيها (صدقَهم)، فقد ذهب أبو حيان إلى جواز نصب (صدقهم) على حالات: قال: "وقرئ بالنصب، وخرج على أنه مفعول له؛ أي لصدقهم، أو على إسقاط حرف الجر؛ أي بصدقهم، أو مصدر مؤكد" [25] أي: نصبها على المفعول لأجله، أو المفعول المطلق الذي يؤكد الفعل كما نعلم، أو على حذف خافض (على). بينما ذهب ابن عرفة إلى أنها لا تكون مفعولاً لأجله؛ "لأنَّ من شرط المفعول لأجله عنده أن يكون اسماً منصوباً دالاً على فاعل الفعل والمعلل له؛ أي: الفعل من جنس الاسم المنصوب الذي يعلله، والتقدير: ينفعُ الصدقُ الصادقينَ.[26] والرأي أن لا نقف هنا إلى ما جاء به ابن عرفة؛ فالنحاة

---

16 انظر. القرطبي، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تح. محمود شاكر، (مكة: دار التربية والتراث، د.ت) 379/1.

17 ابن عرفة الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، تح. جلال الأسيوطي (لبنان: دار الكتب العلمية، 2008)، 73/1.

18 انظر. علي الكريطي، *من أسرار التعبيرات القرآنية النحوية في تفسير ابن عرفة*، *مجلة دراسات إسلامية* (2013) 264/9.

19 البقرة 142/2.

20 محمود بن أحمد الزمخشري، *الكشاف عن غوامض التنزيل*، ط3 (بيروت: دار الكتاب العربي،1407)، 198/1.

21 انظر. عبد الحق بن عبد الرحمن ابن عطية، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تح. عبد السلام الشافعي (بيروت: دار الكتب العلمية، 1422)، 218/1.

22 انظر. ابن عطية، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، 218/1-220.

23 ابن عرفة الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، 187/1.

24 المائدة 119/5.

25 أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط في التفسير*، 422/1.

26 انظر. الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، 140/2.

ذكروا أن المفعول لأجله ينتصب بفعل من غير جنس الاسم المنصوب، ولم يشترطوا أن يكون من جنسه كما ذهب ابن عرفة، والدليل عند ابن السراج لقوله: "اعلم: أن المفعول له لا يكون إلا مصدراً، ولكن العامل فيه فعل غير مشتق منه، وإنما يذكر؛ لأنه عذر لوقوع الأمر، نحو قولك: فعلتُ ذاكَ حذارَ الشَّرِ، وجئتُكَ مخافةَ فُلانٍ "فجئتك "غير مشتق من (مخافة) فليس انتصابه هنا انتصاب المصدر بفعله الذي هو مشتق منه".[27]

ومن الآيات الكثيرة الخلاف في إعرابها والتي تدور في معظم كتب التَّفسير النَّحوي، أو في كتب إعراب القرآن بوجه خاص {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}[28] إذ يكثر علماء النَّحو عند تفسيرها معانٍ خلافيةٍ متعددة، فابن عرفة ناقش في إعرابه لاسم (لا) فيها مؤكداً على التوسع في التَّقدير النَّحوي مجتهداً في ذلك، فمن النحاة كأبي حيان من جعلها بدلا من اسم (لا) وذكر ذلك ابن عرفة بقوله: "قال أبو حيان: (إلا هو) بدل من اسم (لا)". [29] بينما جعل ابن عرفة (إلا هو) بدلاً من (لا) واسمها، وليس فقط اسم (لا). قال: "هناك وجه آخر ذكره النحويون، وهو أن يكون بدلاً من مجموع (لا) مع اسمها، والتقدير يكون: الموجود الذي انتفت الألوهية عن غيره، وأُثبتت له سبحانه وتعالى.[30]

وإنَّنا حين نريد الحديث عن قيمة الخلاف النَّحوي في تفسير ابن عرفة، إنَّما نريد التَّدليل على قوته في القدرة الإقناعيَّة المستندة إلى الدَّليل العقلي المطلق؛ إذ لم تكن مناقشاته لبعض الآيات تستند فقط إلى المعنى الإعرابي، وما يوافق التَّأويل والتَّقدير فيه، بل تستند أيضاً إلى لغة العرب من معاجم وسياقات الاستعمالات لديها، فها هو يفنِّد ويخالف الرَّأي حول الفرق اللُّغوي للتَّعدي في قوله تعالى: {غيرَ باغٍ}[31] ذكر أبو حيان أن (غير) "واقعة موقع الحال المنصوبة من ضمير الفعل (اضطر)، وقيل فيها أيضاً عند غيره: هي حال منصوبة من ضمير فعل مقدر محذوف معطوف على الفعل (اضطر) وتقديرهم: فمن اضطر فأكل غير باغ ولا عاد".[32] ورأى أبو حيان أن الفعل المقدر المحذوف والمعطوف على الفعل (اضطر) يجب أن يقدر بعد (غير باغٍ) فذلك الأولى، فعند تقديرهم له قبل الفعل يقع الفصل فيما يجب أن يكون متصلاً في ظاهره، قال: "لأن في تقدير قبل غير باغ ولا عاد فصلاً بين ما ظاهره الاتصال بما بعده، وليس ذلك في تقديره بعد قوله غير باغ ولا عاد".[33] ورأي ابن عرفة هو الوقوف إلى جانب أبي حيان والمطالبة بالأساليب الدفعة إلى هذا التقدير؛ إذ رأى أن هذا "تقدير باطل معنوياً، فالبيان للحكم وفق هذا التقدير يكون بعد الأكل، وبياننا للحكم قبل الأكل هو الأولى.[34] وعندما خالف ابن عرفة من قال بتقدير الفعل قبل (غير باغ)؛ فإنه عمل بما هو أصل في النحو وأساس في الفصل والوصل النحوي؛ "فلا يمكن دراسة مضامين الجمل ودلالة ألفاظها على معانيها دون الإحاطة بقواعد اللغة وصرفها". [35]

---

27 ابن السراج، *الأصول في النحو*، تح. عبد الحسين الفتلي، ط2 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996)، 206/1.

28 البقرة 163/2.

29 الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، 194/1.

30 نظر. الورغمي، 194/1. لوجوه إعراب "لا إله إلا هو" انظر. حسن موسى الشاعر، إعراب لا إله إلا الله، ط21 (السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1409).

31 البقرة 173/2.

32 انظر. أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط في التفسير*، 118/2.

33 أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط في التفسير*، 118/2.

34 انظر. الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، 206/1.

35 رسمية محمد المياح، "*الفصل والوصل بين البلاغة والنحو*"، كلية الآداب، 239.

ولقد التزم ابن عرفة في مذهبه النَّحوي الخلافي الحديث عن أثر العامل النَّحوي في تقديره لبعض الآيات كقوله تعالى: {فمن لم يجدْ فصيامُ ثلاثةِ أيَّامٍ في الحجِّ}[36] إذ أرجع تقدير وجه النَّصب (صيامَ) على الإغراء، كما ربط التَّقدير: (فليصمْ صيامَ) بالعامل اللَّفظِي وليس المعنوي، ذكر قراءة بعضهم (صيامَ) بالنصب– يعني أبا حيان– على العامل اللفظي (المفعول المطلق)، قال أبو حيان: "وقرىء: فصيامَ، بالنصب أي: فليصم صيام ثلاثة أيام، والمصدر مضاف للثلاثة بعد الاتساع؛ لأنه لو بقي على الظرفية لم تجز الإضافة". [37] ورأى ابن عرفة "أنَّ العامل في (إذا) إذا كان هو المصدر (صيام) فهو عامل لفظي ولا يكون معنوياً. وقيل له إنَّ هذا التقدير يحتاج إلى تقدير عطف آخر، أو العطف على عاملين، وتقديرهم: (وصيام سبعة إذا رجع)؛ أي: تقدير المصدر (صيام) قبل العدد سبعة عند الرجوع من الحج، قال: لا هو واحد فقط.[38] والأصل في هذه الآية هو وجه الرفع، ونحن نناقش الخلاف فيها من حيث قراءة النصب، بين المفسرين وابن عرفة، فهو يعمد في تحليله ومنهجه الخلافي إلى ذكر من سبقه أولاً ثم يدلي بدلوه ورأيه فيما هو سابق له.

ومن المواضع الخلافيَّة في تفسير ابن عرفة تناولهم لبابٍ من أبواب المنصوبات (الاستثناء) والذي اجتهد فيه النُّحاة كثيراً، ووقع فيه خلافات متأصلة بينهم ليس في التقدير الإعرابي، بل يعود كثير منها إلى تحديد تسميته، "فقد عبَّر كثير من النَّحويين ابتداءً من سيبويه والمبرد ومن جاء بعدهم عن هذا الباب بـ(الاستثناء)...بينما عبَّر عنه آخرون بـ(المستثنى) كابن السَّراج (ت. 919)، وابن الحاجب (ت. 1174)، وابن مالك (ت. 672)".[39] فلمَّا تناول ابن عرفة هذا الباب في تفسير قوله تعالى: {إلا ما شاءَ ربُّكَ}[40] وقع الخلاف حول نوعه بين المنفصل والمتصل، وبين كونه ليس من الاستثناء، أو الاختلاف في المتصل بين القائلين به، ذكر "أنَّهم فيه على خلاف: فقال بعضهم: هو متصل، وقال آخرون: هو منفصل، وقال بعضهم: ليس هو من الاستثناء في الأصل، ولا يقف الاختلاف عنده على ذلك؛ إذ اختلف التقدير عند القائلين بأنَّه من الاستثناء المتصل، فقد ذهب قسم منهم إلى أنه استثناء متصل من بعض الأزمنة؛ أي: خالدون في النار إلا في الأزمنة التي يشاء الله، وقال غيرهم: زمن الحشر هو المقصود، ورأى ابن عرفة أن هذا لا يصح؛ لأنه لا يكون مما يدخل في المستثنى منه من حيث المعنى في أصله؛ لأن الآية تتناول زمن الخلود وليس زمن الحشر.[41] ورأى الزمخشري "أنَّ المراد من الاستثناء هو الانتقال من عذابهم بالنار إلى عذابهم بالزمهرير.[42]

وفي هذه القضايا الخلافيَّة بيَّن ابن عرفة في تفسيره لآي القرآن الكريم، ومن سبقه من أصحاب التَّفاسير الأخرى أهميَّة الخلاف في الأعاريب؛ إذ يناقش إعراب (جزاؤه) في: {قالوا جزاؤهُ مَن وُجِدَ في رحلهِ فهو جزاؤهُ}[43] ويسند بعض الأقوال إلى الشِّعر، وفي ذلك يقوي الحجَّة بالمسموع من كلام الشِّعر العربي؛ لما له من منزلة في الخلاف النَّحوي؛"فالمسموع المستدلّ به من النَّاحية التَّطبيقيَّة في مسائل الخلاف يتصدَّره المنظوم من كلام العرب".[44] "ذهب إلى أن (جزاؤه) الأولى: مبتدأ أول، وجملة (من وجد) المبتدأ

---

36 البقرة 196/2.

37 انظر. أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط في التفسير*، 265/2.

38 انظر. الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، 235/1.

39 منصور صالح الوليدي، الخلاف النحوي في المنصوبات (الأردن: عالم الكتب الحديثة، 2006) 107.

40 هود 108/11.

41 انظر. الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، 369/2.

42 انظر. الزمخشري، *الكشاف عن غوامض التنزيل*، 430/2.

43 يوسف 75/12.

44 هادي الشجيري، مسالك الترجيح في مسائل الخلاف النحوي (الأردن: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني)، 99/ 220.

الثاني، وخبره جملة (هو جزاؤه)، والجملة كاملة هي خبر للمبتدأ الأول (جزاؤه). [45] و"الرابط الضمير المضاف فهو جزاؤه لأنه عائد على المكان إلى جزائه الأول أي فهو جزاء السارق أو فهو جزاء ذلك الفعل". [46] وقد رفض أبو حيان هذا التقدير؛ لقوله: "وهذا لا يصح لخلو الجملة الواقعة خبر جزاؤه من رابط". [47] و"الجواب عنده لعدد من الأسباب:

أولها: قول لابن عرفة: الرابط موجود وهو الضمير المضاف لـ(جزاؤه)، فهو يعود على المكان؛ أي: هو جزاء من سرق.

الثاني: يعود لابن عصفور: وأكد فيه على جواز الربط في هذه الآية، وضرب لذلك مثالاً: زيدٌ قامَ زيدٌ.[48] ورأى فيها ابن عرفة غير ذلك "لكون الخبر الثاني وهو جملة على غير الأول، فلا رابط بينهما حسب رأيه.[49] وذكر للسبب الأول (عودة الضمير على ما اتصل بالمبتدأ) ما أجازه الأخفش وابن القصار شعراً. [50]

وَذي إخْوَة قطعت أَقْرَان بَينهم*** كَمَا تركوني وَاحِدًا لَا أخا ليا

ويقرّر المتأمّل والباحث في مجال الخلاف النَّحوي في تفسير ابن عرفة أنَّ هذه الخلافات تنبع من ناحية الاجتهاد اللُّغوي، وليس هذا الاجتهاد وليداً للصدفة، أو محض الخيال، بل إنَّه قائم على التَّنوع والتعدُّد، ولو أنَّ بعضهم ينسب الخلاف النَّحوي بمجمله إلى الفروع دون الأصول، ولكن لا يخفى فضله على أية حالٍ من الأحوال، يقولون:"النَّاظر في آثار العلماء السَّابقين... والتي تعتني بالخلاف منها بشكل خاص، يلحظ أنَّ اختلافهم قائم على المسائل من خلال الفروع وليس على الأصول، فهو خلاف متعلّق بالعامل، أو بالعلَّة، أو بالإعراب، أو في بنية الكلمة أو غيرها، لكنَّنا نجدهم متفقون في الأصول العامَّة، فالمنهج عندهم واحد، وإن تشدَّد بعضهم أو خالف بعضهم بعضاً."[51] بهذه المعاني نرى ابن عرفة يعمد إلى سرد الآراء النحوية للحالة التي يدرسها ويذكر ما يضعفه فيها، فعندما وقف على قوله تعالى: {إنَّه على ذلكَ لشهيدٌ، وإنَّهُ لحبِّ الخيرِ لشديدُ}[52] ناقش عودة الضّمير في هذه الآية "على ما جاء به ابن عطية في تفسيره على الإنسان، فالضّمير عنده يعود على الله تعالى، والمراد بالخير الطّاعة، وليس المال.[53] بينما ضعف ابن عرفة ذلك الرأي: "وذهب إلى أنَّ الخير هو الطاعات، فالله يحب الطاعات من عباده.[54] وذهب الفراء إلى "عودة الضمير إلى الإنسان، والمال: الكثرة، أي المحبة الكثيرة القائمة على تقديره من خلال التكرار للفظ، والتقدير عنده: لحب الخير لشديد حب الخير.[55]

وإذا كانت غاية المفسّرين هي جلاء المعاني وإظهار مواطنها في النَّص القرآني، فذلك لا يكون ببعيد عن مسالك الخلاف النَّحوي كما ذكر ابن عرفة في كثير من مواضع تفسيره للآيات ومنها تضعيفه لرأي أبي حيان حول مسألة كون الكاف بمعنى (مثل) ففي الآية الكريمة: {فهي كالحجارةِ أو أشدُّ قسوةً}[56] فقد ذهب أبو حيان إلى أن الكاف هنا بمعنى (مثل)، "ورأى أنَّ ذلك وفاقاً

45 انظر. الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، 400/2.
46 انظر. الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، 400/2.
47 أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط في التفسير*، 305/6.
48 انظر. أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط في التفسير*، 305/6.
49 انظر. الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، 400/2.
50 الخطيب التبريزي، شرح ديوان الحماسة، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000) 678/1. وهو للشماخ بن ضرار في رثاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
51 أمجد طلافحة، وأحمد أبودلو، *الخلاف النحوي وحقيقة المدارس النحوية* (الأردن: جامعة اليرموك)، 77.
52 العاديات 7/100- 8.
53 انظر. ابن عطية، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، 515/5.
54 انظر. الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، 338/4.
55 انظر. يحيى بن زياد الفراء، *معاني القرآن*، تح. محمد علي النجار وآخرون (مصر: دار المصرية، د.ت)، 285/3.
56 البقرة 74/2.

لسيبويه وجمهور النحو.[57] وذهب ابن عرفة بترجيحه إلى أنَّها "اسم وليست حرفاً على مذهبه.[58] فابن عرفة في مخالفته للمسائل يستنجد بالأساليب النَّحويَّة الصَّحيحة، ولا يعتمد على غير ذلك، "فلقد ملك من الأدوات ما يمكّنه من تفسير كلّ لفظٍ على أكمل وجهٍ من أوجه اللغُّة وقواعد النَّحو السَّليمة وليس الشَّاذة الَّتي لا أصل لها إلا اللَّفظ الواحد المذكور فقط؛ فهو عالم بأنَّه لابدَّ من موافقة الشرع وموافقة اللغة والنَّحو عند حمل الأوجه الإعرابية في كتاب الله تعالى، وذلك باختيار اللائق منها لدلالتهما معاً.[59]

ولا يمكن الابتعاد في المنهج الخلافي النَّحوي عند ابن عرفة عن الحذف ودوره في التَّأويل النَّحوي، ألا ترى أنَّ كثيراً من المسائل الإعرابيَّة الخلافيَّة القائمة بينه وغيره من العلماء تعود إلى هذا القسم الجليل من الأقسام المرتبطة بالتَّفسير النَّحوي، ومنها قوله تعالى: {مَن يُصرفْ عنه يومئذٍ فقد رحمَهُ}[60] ذهب أبو حيان إلى أن مفعول (يصرف) "اسم منصوب محذوف للاختصار، والأصل في التقدير: يصرف اللهُ العذابَ عنه.[61] بينما "ذهب أبو علي الفارسي في إعرابه كما ذكر ابن عرفة في تفسيره إلى أنَّ المفعول المحذوف هو اسم منصوب على التمييز، وهو عائد على المفعول المحذوف (العذاب)، ورأى الفارسي أن حذف الضمير العائد ليس بالأمر السهل، بينما ذهب ابن عرفة إلى أن حذفه ليس بالشيء الصعب، والتقدير عنده: (ومن يصرف عنه العذاب عنه).[62] فالتَّقدير النَّحوي عند ابن عرفة، وغيره من النُّحاة يدور في فلك الحذف النَّحوي مرتبطاً بالمعنى الإجمالي دون السِّياق الفردي، فالنَّحو يتعامل مع السِّياق دون الكلمة، والتَّركيب عند تقديره للمعنى.

ودراسة مسائل الخلاف في تفسير ابن عرفة توطّن العلاقة بين دلالة الألفاظ ومعانيها؛ إذ تنادي وتطلب أصحّ الأوجه من الألفاظ وبأقربها إلى الصَّواب؛ إذ لا يمكن حمل وتوجيه الإعراب للمعاني بعيداً عن دلالات الألفاظ ومبانيها، بمفردها، وبمركبها، وبدلالاتها المتفاوتة بين أسلوب وآخر، فمنها الدلالة القطعية والدلالة الظنية، "فبهذا المنهج نجد تفاسير السلف من علماء هذه الأمة، العاملين المجتهدين في حقل تفسير الكتاب العزيز والبحث عن معانيه، فكل ما جاء فيها لا يخرج عن مدلولات العربية وضوابطها وما تقتضيه.[63] بهذه المعاني ناقش ترجيح رأيه في قوله تعالى: {هذا فوجٌ مُقتحِمٌ معكم}[64] إذ ذهب السمين الحلبي إلى عدة وجوه في إعراب تعليق (معكم)، قال: "يجوز أن يكون نعتاً ثانياً لـ(فوج)، وأن يكون حالاً منه؛ لأنه قد وصف، وأن يكون حالاً من الضمير المستتر في (مقتحم)".[65]بينما "رجح ابن عرفة أن تكون معلقة باسم الفاعل، وردّ كونها حالاً، لانقطاع الدلالة عند تقديره بالحال.[66]

ومن الوجوه الخلافيَّة المرايا النحويَّة كما أقول: ولعلِّي أعني بالمرايا النَّحويَّة المرايا التي تعكس ارتباط الخلافات النَّحويَّة في تفسير ابن عرفة بصاحب الرَّأي القائل به، بين قراءة وأخرى، بين حركة وما يوافقها بين حركة ونظيرها، بين إعراب وما يخالفه، كما

57 انظر. أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط في التفسير*، 423/1.
58 انظر. الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، 131/1.
59 انظر. حسين الحربي، *قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية*، 633/2.
60 الأنعام 16/6.
61 انظر. أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط في التفسير*، 454/4.
62 انظر. الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، 145/2.
63 انظر. حسين الحربي، *قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية*، 354/2.
64 ص 59/38.
65 السمين الحلبي، *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*، تح. أحمد الخراط، (دمشق: دار القلم، د.ت) 391/9.
66 انظر. الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، 376/3.

في قوله تعالى: {ولا يحسبنَّ الذينَ كفرُوا أنَّما نملي لهم خيرٌ لأنفسِهِم}[67] إذ ذهب أبو حيان إلى أنَّه "وفق قراءة الخطاب بالتاء (تحسبن) و(الذين) مفعول به؛ أي: قول بعضهم لبعض.[68] وقد رفض ابن عرفة ذلك التأويل "وذهب إلى أنَّه عند بعضهم: بدل.[69] وقال ابن عطية: "قرئ على الفارسي بفتح (إنَّما) وهي عنده لا تكون مفعولاً ثانياً، فالمفعول الثاني هنا هو الأول من حيث المعنى، وليس الإملاء على نفس السوية بهذا المعنى.[70]

وقد كانت مسائل الخلاف في تفسير ابن عرفة مفرقة النَّوع والغرض؛ إذ أعطت النَّحو جماليَّة الاجتهاد وبراعة التَّأويل، وإن كان بعضهم يرى غير ذلك، فهناك من الباحثين من يرى في قضيَّة الخلاف النَّحوي وجهةً سلبيةً؛ إذ "يرى فيه الفقدان للوحدة الموضوعيَّة، فقد كانت مناهج النُّحاة الخلافيَّة قائمة برأيه على المزج أو المزيج الغريب من عدد من المناهج والطرائق والأساليب؛ إذ يرى فيها ركاماً كبيراً ضخماً من الثقافات المتنوعة والمختلفة والتي لم تجتمع عندهم إلا من خلال اجتهاد عقولهم الواعية الخصبة الغنية بفكرها ونتاجها، وتأثَّرت بالعديد من ألوانها، وذلك ساعد على تطوير وتنمية الشخصية البحثية لدى الباحث، بل أن تنمو وتتطور المادة المدروسة لديه، وبهذا انعكست هذه النتائج على وعيه وعلمه ونتاج عقله وموضوعيته وأسلوبه بشكل عام.[71]

ولكن ذلك كله ينتفي بمجرد ربط المعنى الخلافي بأبواب المعنى المتعددة، فبذلك تجد العقول تسير في ركب التَّطور والاجتهاد التَّأويلي القائم على العقل المبدع، وتبتعد عن القوالب الجامدة، وقطبية الوجه الواحد، كما قوله تعالى: {إن امرؤٌ هلكَ}[72] قال ابن عرفة: "كلمة (امرؤ) فاعل بفعل مقدر دل عليه الفعل (هلك)".[73] وذهب الزمخشري إلى كونها صفةً " ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر... والرفع على الصفة لا النصب على الحال. أي: إن هلك امرؤ غير ذي ولد".[74] وخالف ابن عرفة هذا الرأي و"رد بأنَّه ما يفسر إلا ما يصح به العمل، وإذا جعلت صفة لـ(امرؤ)، ما يصح له العمل فيه، وأجيب: بأن المفسر السابق كما قالوا في المضمر: أنَّه يفسر السابق دلالة الحال، وردَّ بأنَّه إذا كان المضمر (هلك) فلا فائدة في ذكر(هلك) الذي هو صفة، وأجيب بأن النعت عندهم يكون تأكيداً حجة".[75] فقد تناوبت الآراء بين كون (امرؤ) فاعلاً لفعل مقدَّر، وبين كونه صفةً، أو نعتاً على اختلاف التَّسمية والذي يعنينا هنا أنَّه لا مناص للاجتهاد النَّحوي عند الإعراب من الخلاف، فلولا جماليَّة هذا الخلاف لما وجدت للنَّحو ولا للإعراب تلك الجماليَّة الكبيرة كهذا التفسير.

هكذا تمَّ التَّنقل بين صفحات تفسير ابن عرفة، وبيَّن البحث من خلال بعض النَّماذج التي أوردها آنفاً مواضع الخلاف النَّحوي ومنهج ابن عرفة في الحجَّة أو القول فيه، أو تفسير الكلام وربط الآيات بالنَّاحية المعنويَّة من خلاله؛ فلقد عني ابن عرفة أشدّ العناية بمباحثه وآرائه النّحويَّة، ويشهد له بذلك ابن عاشور؛ إذ "ذكر اهتمامه بأن يقوم بتخريج الآية التي يتناولها بالدرس ويقلبها

67 آل عمران 178/3.

68 انظر. أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط في التفسير*، 443/3.

69 انظر. الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، 446/1.

70 انظر. ابن عطية، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، 545/1.

71 انظر. علي أبو المكارم، *تقويم الفكر النحوي* (القاهرة: درا غريب للطاعة والنشر والتوزيع، 2005)، 235.

72 النساء 176/4.

73 الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، 77/2.

74 الزمخشري، *الكشاف عن غوامض التنزيل*، 598/1.

75 الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، 77/2-78.

من جميع الأوجه والمستويات والتأويلات؛ حتَّى تكون الصورة واضحةً جلية مستقيمة لا لبس فيها، وفي مقابل ذلك يرد ما كان مخالفاً منها لقواعد النحو وأساسياته وشروطه، ولا يقبل بها.[76]

خاتمة:

1- إنَّ تفسير ابن عرفة اعتمد على مجموعة من التَّفاسير والكتب الأخرى؛ والَّتي أكثر من ذكرها في جميع صفحات وأقسام تفسيره، فنجده يذكر ما يذكره لطلابه من مصادر عديدة وعلى رأسها: تفسير ابن عطيَّة (المحرَّرُ الوَجيز في تفسيرِ الكتابِ العزيز)؛ الَّذي احتلَّ عنده المرتبة الأولى من بين التَّفاسير الأخرى، ومن مصادره أيضاً: (فتوحُ الغَيْب في الكَشْفِ عَنْ قِنَاعِ الرَّيب) لشريف الدِّين الطَّيبي، ومنها تفسير الفخْر الرَّازي: (التَّفسيرُ الكَبِير، أو مَفَاتِيحُ الغَيب)، ومنها تفسير الزَّمخشري: (الكَشَّاف عن حقائقِ التَّنزيل وعيون الأقَاويل في وجُوه التَّأويل)، ومنها تفسير أبي حيَّان: (البَحرُ المحيط)، وغيرها.

2- إنَّ قضيَّة الخلاف النَّحوي في تفسير ابن عرفة كانت من المواضيع المهمَّة الَّتي ناقشها النُّحاة، وأكثر فيها من ذكره الحجج والبراهين في سبيل الإعراب الّذي يقول به؛ إذ يقرِّر المتأمِّل والباحث في مجال الخلاف النَّحوي في هذا التَّفسير أنَّ هذه الخلافات تنبع من ناحية الاجتهاد اللُّغوي، وليس هذا الاجتهاد وليداً للصدفة، أو محض الخيال، بل إنَّه قائم على التَّنوع والتعدُّد. كما أنَّها قامت على قوته في القدرة الإقناعيَّة المستندة إلى الدَّليل العقلي المطلق؛ إذ لم تكن مناقشاته للآيات تستند فقط إلى المعنى الإعرابي، وما يوافق التَّأويل والتَّقدير فيه، بل تستند أيضاً إلى لغة العرب في معاجم وسياقات الاستعمالات لديها.

3- إنَّ منهج ابن عرفة في خلافه النحوي عند تفسيره للآيات هو التحليل وحسن التعليل؛ إذ كان لا يعمد إلى الأوجه النَّحويَّة الخلافية القائمة على عوارض المعنى عند تفسير المسألة النَّحويَّة إلا من خلال البحث عن أفضلها وأكملها لبيان المعنى وتوضيحه؛ إذ نراه منكباً في الإعراب على الوجوه الَّتي تنزَّه القرآن عنها، مبيناً أنَّها ممَّا يجب أن يعدل عنه، وأنَّه ينبغي أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب؛ إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام؛ وقد كان يعمل كذلك وفق المبدأ الرئيسي العام عند النُّحاة الأوائل إلى عصره.

4- إنَّ ابن عرفة نال ما نال أسلافنا من الاجتهاد والعمل في مجال التَّصفيف والتَّدريس لهذا الكتاب العظيم (القرآن)؛ إذ عاد به البحث إلى مواطن كثيرة، ونهج في هذا المنهج كلَّ سبيلٍ، وجمع في هذا العلم الكثير، صقل معارفه، وكتب بأقلام تلاميذه ما تفرَّد به دون غيره في مجال التَّأليف والتَّدوين لهذا العلم العظيم، ولم يدَّخر في سبيل علم التَّفسير جهداً، فسلك به الدِّراسة والتَّدريس، ودفع به في دروب التَّحصيل العلمي عندما نقله إلى تلاميذه، وكان سيره وعمله في علم التَّفسير، السَّير الحثيث، والعمل الذي لا نظير له، وبذلك أثمرت جهوده بنقل معارفه إلى تلاميذه.

5- إن نحو ابن عرفة والآراء التي كان يخالفها أو يضعفها أو يردها ببيان الحجة وحسن التعليل يميل دوماً إلى المذهب والرأي النحوي البصري؛ إذ نجده في تعليلاته دوماً ينطلق من الجواب والدليل البصري، وقد صبغ هذا المذهب تفسير بصبغته، فكانت الأساليب بصرية على القول والاطلاق، وإن ورد من المخالفات النحوية ما هو من الاتجاه الكوفي فذلك من القليل والنادر والغالب أنها بصرية بامتياز.

76 انظر. ابن عاشور، *التفسير ورجاله*، 105.

Kaynakça

al-Qurān al-Karīm

Abbās Ḥasan. al-Lughah wa al-Naḥw bayn al-Qadīm wa al-Ḥadīth. Miṣr: Dār al-Maʻārif, 1966.

Abbās Ḥasan. al-Naḥw al-Wāfī. Ṭ15. Miṣr: Dār al-Maʻārif, n.d.

Abū al-Baqāʾ al-ʻUkbārī. ʻAbd Allāh b. al-Ḥusayn. Masāʾil Khilāfiyyah fī al-Naḥw. Taḥqīq Abd al-Fattāḥ Salīm. al-Qāhirah: Maktabat al-Ādāb, 2007.

Abū Ḥayyān al-Andalusī. Muḥammad b. Yūsuf. al-Baḥr al-Muḥīṭ fī al-Tafsīr. Taḥqīq Ṣidqī Muḥammad Jamīl. Bayrūt: Dār al-Fikr, 1420.

Aḥmad Qarūmī. "Usus Naqd al-Khilāf al-Naḥwī wa Ikhtilāf al-Qirāʾāt al-Qurānīyah min Khilāl al-Nashʾah wa al-Tatawwur". Majallat Āfāq ʻIlmīyah. Jāmiʻat al-Jazāʾir, 2021.

Akram Nāṣir Ḥusayn. "al-Khilāf al-Naḥwī: Nashātuhū, Asbābuhū, Maẓāhiruh". Majallat Markaz Jazīrat al-ʻArab li-l-Baḥūth al-Tarbawīyah wa-l-Insānīyah. al-Yaman: Jāmiʻat Ṣanʻāʾ, 2019.

al-Ḥusayn b. Muḥammad al-Rāghib al-Iṣfahānī. Muḥāḍarāt al-Udabāʾ wa Muḥāwarāt al-Shuʻarāʾ wa al-Bulaghāʾ. Taḥqīq ʻUmar al-Ṭabāʻ. Bayrūt: Dār al-Arqam, 1420.

Alī Abū al-Mukārim. Taqwīm al-Fikr al-Naḥwī. al-Qāhirah: Dār Gharīb li-l-Ṭāʻah wa al-Nashr wa al-Tawzīʻ, 2005.

Alī al-Karayṭī. "Min Asrār al-Taʻbīrāt al-Qurānīyah al-Naḥwīyah fī Tafsīr Ibn ʻArafah". Majallat Dirāsāt Islāmīyah Muʻāṣirah. Jāmiʻah Karbalāʾ, 2013.

al-Khaṭīb al-Tabrīzī. Sharḥ Dīwān al-Ḥamāsah. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2000.

al-Qurṭubī. Jāmiʻ al-Bayān ʻan Taʾwīl Āy al-Qurʾān. Taḥqīq Maḥmūd Shākir. Makkah: Dār al-Tarbiyah wa al-Turāth, n.d.

al-Samīn al-Ḥalabī. al-Durr al-Maṣūn fī ʻUlūm al-Kitāb al-Maknūn. Taḥqīq Aḥmad al-Khurāṭ. Dimashq: Dār al-Qalam, n.d.

Amjad Ṭalāfḥah, wa Aḥmad Abūdulū. al-Khilāf al-Naḥwī wa Ḥaqīqah al-Madāris al-Naḥwīyah. al-Urdun: Jāmiʻat al-Yarmūk, n.d.

Hādī al-Shujayrī. Masālik al-Tarjīḥ fī Masāʾil al-Khilāf al-Naḥwī. al-Urdun: Majallat Majmaʻ al-Lughah al-ʻArabīyah al-Urdunī.

Ḥassan Mūsā al-Shāʻir. Iʻrāb Lā Ilāh Illā Allāh. Ṭ21. al-Saʻūdīyah: al-Jāmiʻah al-Islāmīyah bi-l-Madīnah al-Munawwarah, 1409.

Ibn ʻArafah. Muḥammad al-Warqamī. Tafsīr Ibn ʻArafah. Taḥqīq Jalāl al-Asyūṭī. Lubnān: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2008.

Ibn ʻĀshūr. Muḥammad al-Ṭāhir. al-Tafsīr wa Rajālahū. Ṭ2. Miṣr: Majmaʻ al-Buḥūth al-ʻIlmīyah fī al-Azhar, 1970.

Ibn ʻAṭīyah. ʻAbd al-Ḥaq b. ʻAbd al-Raḥmān. al-Muḥarrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-ʻAzīz. Taḥqīq ʻAbd al-Salām al-Shāfiʻī. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1422.

Ibn al-Sarāj. al-Uṣūl fī al-Naḥw. Taḥqīq ʻAbd al-Ḥusayn al-Fatlī. Ṭ2. Bayrūt: Muʾsassat al-Risālah, 1996.

Ibn al-Sikkīt. Yaʻqūb b. Isḥāq. Iṣlāḥ al-Manṭiq. Taḥqīq Muḥammad Marʻab. Bayrūt: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʻArabī, 2002.

Ibn Muḍāʾ al-Qurṭubī. al-Radd ʻalā al-Nuḥāt. Taḥqīq Shawqī Ḍayf. Miṣr: Dār al-Fikr al-ʻArabī, 1974.

Ibrāhīm Muṣṭafā. Iḥyāʾ al-naḥw. al-Qāhirah: Maṭbaʻat Lajnat al-Taʾlīf wa al-Tarjamah wa al-Nashr, 1937.

Izz al-Dīn ʻAmmārī. "Fī Naqd al-Naḥw al-ʻArabī Baḥth fī al-Nashāʾah wa al-Tatawwur". Majallat al-Muqrī li-l-Dirāsāt al-Lughawīyah al-Naẓarīyah wa al-Taṭbīqīyah, n.d.

Jalāl al-Dīn 'Abd al-Raḥmān al-Suyūṭī. Bughiyat al-Wu'ā' fī Ṭabaqāt al-Lughawīyīn wa al-Nuḥāt. Taḥqīq Muḥammad Abū al-Faḍl. Ṭ2. Dimashq: Dār al-Fikr, 1979.

Khadījah al-Hadīthī. al-Madāris al-Naḥwīyah. Ṭ3. al-Urdun: Dār al-Amal, 2001.

Maḥmūd al-Zamakhsharī. al-Mufaṣṣal fī Ṣan'at al-I'rāb. Taḥqīq 'Alī Bū Mulḥim. Bayrūt: Maktabat al-Hilāl, 1993.

Makkī b. Abī Ṭālib al-Qaysī. Mushkil I'rāb al-Qur'ān. Taḥqīq Ḥātim Ṣāliḥ al-Ḍāmin. Ṭ2. Bayrūt: Mu'sassat al-Risālah, 1984.

Manṣūr Ṣāliḥ al-Walīdī. al-Khilāf al-Naḥwī fī al-Manṣūbāt. al-Urdun: 'Ālam al-Kutub al-Hadīthah, 2006.

Muḥammad b. Salām al-Jumaḥī. Ṭabaqāt Fuḥūl al-Shu'arā'. Taḥqīq Maḥmūd Shākir. Jeddah: Dār al-Madanī, n.d.

Muḥammad b. Zakarīā al-Ghulābī. Waq'at al-Jamal. Taḥqīq Muḥammad Ḥassan Āl Yāsīn. Baghdād: Maṭba'at al-Ma'ārif, 1970.

Muḥammad Ṭarḥūnī. al-Tafsīr wa al-Mufassirūn fī Gharb Afrīqīā. al-Sa'ūdīyah: Dār Ibn al-Jawzī, 1426.

Rasmīyah Muḥammad al-Miyāḥ. al-Faṣl wa al-Waṣl bayn al-Balāghah wa al-Naḥw. Kullīyat al-Ādāb. al-'Irāq.

Sa'īd al-Afgānī. Min Tārīkh al-Naḥw al-'Arabī. Bayrūt: Dār al-Fikr, n.d.

Shawqī Ḍayf. Tajdīd al-Naḥw. Ṭ6. Miṣr: Dār al-Ma'ārif, n.d.

Tammām Ḥassān. al-Lughah al-'Arabīyah Ma'nāhā wa Mabnāhā. al-Maghrib: Dār al-Thaqāfah, 1994.

Yaḥyā b. Ziyād al-Farrā'. Ma'ānī al-Qur'ān. Taḥqīq Muḥammad 'Alī al-Najjār wa Ākharūn. Miṣr: Dār al-Miṣrīyah, n.d.